Journal of Arabic Language and Literature (JALSL) • Vol 3, Issue 1 (2024) • P: 32 - 20
https://journals.ajsrp.com/index.php/jalsl
ISSN: 2790-7317 (Online) • ISSN: 2790-7309 (Print)

The impact of Jewish Orientalism on the modern linguistic study

Mr. Farid Khalil Nassar*, Dr. Muhammad Ali Rabaa
Faculty of Arts | Al-Najah National University | Nablus | Palestine

Received: 04/12/2023
Revised: 15/12/2023
Accepted: 12/02/2024
Published: 30/03/2024

* Corresponding author: freed_nassar@hotmail.com

Citation: Nassar, F. KH., & Rabaa, M. A. (2024). The impact of Jewish Orientalism on the modern linguistic study. *Journal of Arabic Language and Literature, 3* (1), 20 – 32. https://doi.org/10.26389/AJSRP.F041223

2024 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: This study examines the impact of Jewish Orientalism and the danger it poses on modern linguistic studies, particularly since it has been predominantly built on political, religious, or other foundations that often diverge from scientific or objective principles to a considerable extent.

The significance of this study lies in the call for a reevaluation of the Orientalist product that has inundated linguistic studies. It advocates for a balanced and critical reading, free from influence and admiration, and detached from narrow-mindedness and condemnation. The aim is to capture what aligns with the Arab cultural identity and to identify mechanisms suitable for enriching knowledge. Moreover, the study seeks to uncover the patterns of Arab heritage and its aesthetics, taking serious and clear critical stances against Orientalist methodologies based on intellectual foundations. Notably, some Arab critics in the cultural sphere continue to reproduce and apply these methodologies, using their terminologies.

This study adopts an analytical and inductive approach, tracing different perspectives on Jewish Orientalism and its utilization in serving Jewish purposes. The research confirms that the Jewish researcher prefers working within the Orientalist movement as a European Orientalist rather than a Jewish one. This choice is strategically advantageous in promoting Zionist causes by presenting them in a Western framework, ensuring acceptance among Arabs and Muslims by capitalizing on the Eastern inferiority complex toward the West.

Keywords: Orientalism, Jewish Orientalism, Linguistic Studies, Arab Modernists.

أثر الاستشراق اليهوديّ في الدرس اللغويّ الحديث

أ. فريد خليل نصّار*، د. محمّد علي ربّاع
كلية الآداب | جامعة النجاح الوطنية | نابلس | فلسطين

المستخلص: تتناول هذه الدراسة أثر الاستشراق اليهوديّ وخطورته على الدرس اللغوي الحديث، خاصّة وأنّه قد بُني، في معظمه، على أسسس سياسيّة أو دينيّة أو غيرها تنأى به عن العلميّة أو الموضوعيّة إلى حدٍّ بعيد.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في الدعوة إلى إعادة قراءة المنتج الاستشراقيّ الذي غزا الدراسات اللغويّة، قراءة متوازنة فاحصة، بعيدة عن التأثّر والانبهار، وبعيدًا عن الانغلاق والاستهجان من أجل التقاط ما يتلاءم والهويّة العربيّة الثقافيّة، وما تصلح آلياته لإثراء المعرفة، والكشف عن أنساق التراث العربيّ وجماليّاته، واتخاذ مواقف نقديّة جادّة وواضحة من المناهج الاستشراقيّة، مرتكزة على أسس معرفيّة، خصوصًا أنّ تلك المناهج التي ظلّت تفد من أجهزة الآخر بأجهزتها المصطلحيّة، بقي بعض النقّاد العرب في الساحة الثقافيّة يعيدون إنتاجها، ويجعلونها مجالًا للتطبيق.

وقد اطمأنّت هذه الدراسة، من خلال المنهج الاستقرائيّ التحليليّ، إلى أنّ الباحث اليهوديّ قد آثر العمل داخل الحركة الاستشراقيّة بوصفه استشراقًا أوروبيًّا، وليس بوصفه استشراقًا يهوديًّا؛ الأمر الذي استفاد منه كثيرًا في خدمة القضايا الصهيونيّة مع تقديمها في قالب غربيّ، لضمان قبولها في أوساط العرب والمسلمين، مستغلًا في ذلك عقدة النقص الشرقيّة تجاه الغرب.

الكلمات المفتاحيّة: الاستشراق، الاستشراق اليهودي، الدرس اللغوي، المحدثون العرب.

المدخل:

يُجمع الباحثون (ينظر: فوك، 2014، ص 1-3. ينظر أيضا: فيشر. المراحل الزمنية للغة العربية الفصحى. ترجمة: اسماعيل عمايرة، ضمن كتابه: بحوث في الاستشراق واللغة، ص433).على أنّه لم يكن في تاريخ اللغة العربيّة حدث أبعد أثرًا من ظهور الدين الإسلاميّ في تقرير مصيرها؛ فمذ نزل القرآن، تأكّدت صلة وثيقة بين اللغة العربيّة والدين الإسلاميّ، وكان لهذه الصلة عظيم النتائج على تاريخ ومستقبل العربيّة؛ فأصبحت لغة الدين والحضارة، ثم لغة الطبقات السائدة بعد أن زحفت مع الفاتحين البدو تحت راية الإسلام، وامتدت رقعة انتشارها حتى وصلت إسبانيا غربًا، وأواسط آسيا شرقًا، واستقرّت في بعض الأقاليم لتصبح لغة العلم المعتمدة، ولم تتأثّر مكانتها بسقوط الدولة الأمويّة، بل كان لها في العصر الذهبيّ حظٌّ كبير من العناية بقواعدها، وأصبحت الرابط بين جميع الأقطار الإسلاميّة على أنّها لغة العلم والأدب والثقافة حتّى يومنا هذا(ينظر: فوك، 2014، ص 1-3).

فلو نظرنا إلى تاريخ الدراسات الأوروبيّة للعربيّة في بداياته، لرأينا أنّه كان نشاطًا يعتمد على الاستفادة الفعّالة ممّا أنجزه اللغويّون العرب، وكان للغويّين العرب ونحاتهم أثر لا ينكر على الدراسات الفقهيّة للّغة العربيّة، وتوصّل بعض علمائهم المتقدّمين إلى وضع بعض الأصول والعلل التي استخدمها المستشرقون، واستعانوا بها في المقارنات التاريخيّة للّغات الساميّة كما يذهب خليل نامي (نامي، 1974، ص 11). وينسحب هذا الكلام على المعاجم أيضًا؛ إذ يذهب "أنستازي ماري الكرمليّ" إلى أنّ المستشرقين كانوا قد وضعوا معاجمهم "مقتفين أثر الأصبهاني، ولم يبتكروا الطريقة من عندهم، بخلاف ما يظنّه جمهور المتطفّلين على اللغة" (الكرملي، 2020، ص15).

ولكنّ الدرس اللغويّ المعاصر أبى أن يقف عند ذلك الحدّ مما ترويه المصادر العربيّة القديمة وكتب التراث، بل قرّر أن يقرأ هذه الصورة قراءةً أخرى، معتمدًا على المصادر القديمة، وعلى ما صدر من أبحاث ودراسات حديثة، ولا سيّما أنّه يرى صورة مغايرةً للّغة العربيّة في جزء ليس بقليل منها عن تلك التي رسمها لنا القدماء، وما جاءَ في مصادرهم. فالنتائج التي رشحت عنها البحوث والدراسات، ووجدت طريقها إلى الدرس اللغويّ العربيّ المعاصر، سواء من خلال ما طَرَسَتْهُ أقلامُ الدارسين من أبناء العربيّة، أم عن طريق ترجمة أعمال كثيرة، جعلت من دراسة العربيّة وتطوّرها عبر التاريخ محورًا لها.

وتذهب هذه الدراسة من خلال المنهج الاستقرائيّ التحليليّ إلى رصد ماهيّة المصادر القديمة التي اعتمدت عليها دراسات الغربيّين والمستشرقين، ولا سيّما اليهود منهم في الدرس اللغويّ العربيّ المعاصر، وما قيمة النتائج التي توصّلت إليها؟ ثمّ ما مدى تأثيرها لغويًّا، وأبعاد ذلك دينيًّا، وتاريخيًّا، وثقافيًّا، وحضاريًّا؟ ثمّ كيف أثّرت هذه الدراسات على مستوى الدرس اللغويّ العربيّ المعاصر؟ فهل ما زالت آراء اللغويّين القدماء هي المهيمنة على رؤية المتخصّصين في اللغة العربيّة؟ أم أنّنا نقع على بعض الآراء المتناثرة في أعمال المحدثين ودراساتهم المتأثّرة بمواقف الباحثين الغربيّين المهتمّين بدراسة اللغة العربيّة، ومواكبتها على طول قرن ونيّف من الزمان؟

وغنيّ عن الذكر أنّ ثمّ دراسات عربيّة وغربيّة عديدة تناولت موضوع صورة العربيّة القديمة من وجهة نظر استشراقيّة، إن على مستوى الكتب، وإن على مستوى المقالات والأبحاث، ومن أهمّها:

كتاب "العربيّة بين العرب والمستشرقين"، لمحمّد ربّاع، الصادر عن دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، عام 2020، ويتألّف من جزأين: الأوّل: "العربيّة عند المستشرقين؛ اختلاق الوصف وبعثرة الثوابت"، والثاني: "صورة العربيّة لدى المحدثين، بين التراث ومخلّفات المستشرقين". كذلك هناك دراسة للمستشرق أ. شفتيل Shivtiel, A. بعنوان: "متاهة العربيّة" "The Maze of Arabic"، نُشرت عام 1991. إضافة إلى ذلك، هناك أيضًا دراسة بعنوان "اعتراضات المستشرق أ. شفتيل على تقسيم المستشرق جاشوا بلاو لتاريخ اللغة العربيّة"، وقد نُشرت في "مجلة اللسانيّات العربيّة"، عام 2017، لعبد المنعم جدامي.

أمّا ما يميّز دراستنا هذه عن غيرها من الدراسات السابقة، فهو: أنّها تتفرّد في معالجة أثر الباحثين اليهود، علمًا بأن الدراسات السابقة عرضت أقوال وآراء ووجهات نظر لمستشرقين كان بعضهم من اليهود، ولم يسبق أن عولج فكر هؤلاء مستقلًا؛ فهو يعالج كما لو كان جزءًا من الفكر الغربيّ.

"الاستشراق": المفهوم والغايات.

تنطلق هذه الدراسة من فرضيّة مفادها أنّ للاستشراق اليهوديّ تأثيرًا كبيرًا في تصوّر المستشرقين للّغة العربيّة، خاصّة أنّ لهذه اللغة صلة وثيقة جدًّا بالإسلام الذي كان الحدث الأهمّ والأقوى من حيث الأثر الذي تركه في اللغة.

فالاستشراق، كما يراه محمّد زقزوق، جزء لا يتجزّأ من الصراع الحضاريّ بين العالم الإسلامي والعالم الغربيّ، ويمثّل الخلفيّة الفكريّة لهذا الصراع؛ فلا يجوز التقليل من شأنه، بالنظر إليه على أنّه قضيّة منفصلة عن باقي دوائر هذا الصراع؛ إذ كان له أكبر الأثر في صياغة التصوّرات الأوروبيّة حول كلّ ما يمتّ بصلة للعرب والإسلام، وفي تشكيل مواقف الغرب إزاء الإسلام على مدى قرون عديدة، فقد عرفت أوروبا الدراسات الاستشراقيّة بمعناها الواسع ابتداءً من أواخر القرن السادس عشر، حيث تأسّست معاهد متخصّصة،

اكتسبت، فيما بعد، عراقة علمية في "ليدن"، و"روما" و"أكسفورد"، تلتها معاهد مماثلة في غيرها من الجامعات الأوروبيّة الكبرى(ينظر: زقزوق، 1984، ص3).

فلم تكن بدايات الاستشراق، كما يشير جورج تامر، منظّمة لخدمة أهداف سياسيّة، بل كانت ثمار جهود فرديّة قام بها العلماء رغبة في التعرّف إلى الشرق ولغاته وحضاراته. ولاحقًا، بعد بداية الاستعمار، اقترن الاهتمام بالاستشراق بأهميّته السياسيّة بالنسبة إلى بسط الدول المستعمرة سيطرتها على المستعمرات في الشرق، واستغلال ثرواتها، ولم يعد الاستشراق، عندئذٍ، حرًّا من الدوافع السياسيّة والاقتصاديّة التي كانت تتحكّم فيه إلى حدٍّ ما. غير أنّ أحد أهمّ العوامل التي شكّلت منعطفًا خطيرًا في تطوّر الدراسات الاستشراقيّة والإسلاميّة في أوروبا، هو أنّها تأثّرت بالتطوّر الذي عرفته، قبل ذلك، دراسة لغات الكتاب المقدّس، اليونانيّة واللاتينيّة والعبريّة، فتركّزت في عصر النهضة على دراسة معمّمة للّغة العربيّة أوّلًا، ثمّ الفارسيّة والتركيّة، هكذا، سيطرت الفيلولوجيا في ذلك الحين منهجيًّا على دراسة الحضارات القديمة والشرقيّة التي تمّ السعي إلى استكشافها بواسطة فهم النصوص التي أنتجتها (ينظر: تامر، في مقدمته لكتاب تاريخ القرآن، لتيودور نولدكه، ص XIII-XIV).

وتعود الجذور التاريخيّة لمصطلح "الاستشراق"، من حيث الانطلاقة والانتشار في الغرب، إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلاديّ، حين ظهرت في أوروبا للمرّة الأولى كلمة "مستشرق" في إنكلترا عام 1779، وفي فرنسا عام 1799، ثم في الأكاديميّة الفرنسيّة عام 1838م، ودخلت إلى معجم أكسفورد عام 1812(ينظر: الهنسي، 2007، ص457. ينظر أيضا: أحمدي، فبراير 15، 2018 https://nosos.net ، ينظر أيضا: زماني، 2014، ص 176. ينظر أيضا: بو زيد، 2015، ص15).

ويبدو جليًّا عدم الاتّفاق على تعريف شامل ومحدّد بين الباحثين لمصطلح "الاستشراق"؛ سواء بسبب رؤيتهم، أو تعاليمهم العلميّة، بل حتّى بسبب شمول هذا المصطلح لعدد كبير من العلوم الإنسانيّة؛ التاريخ، والجغرافيا، والسياسة، والاقتصاد، والاجتماع (الهنسي، 2007، ص457. ينظر أيضا: بخوش، 2004، ص283)، ممّا دفع الباحثين إلى وضع تعريف خاصّ للاستشراق، ينطبق على مشاهداته ومعلوماته ورؤيته الخاصة، الأمر الذي أفضى إلى ظهور كثير من التعريفات المختلفة، باختلاف المشارب والرؤى والخلفيّات الفكريّة التي ينطلق منها كلّ باحث، حتى ذهب بعض المختصّين في شؤون الاستشراق إلى استحالة تدوين تعريف دقيق جامع ومانع للاستشراق (للاطلاع على التعريفات المتعددة لمصطلح الاستشراق، ينظر: الزيادي، 1998، ص15-20. ينظر أيضا: بن عبد الله، 2019، ص 182).

من جهة أخرى، فإنّ معظم التعريفات، إن لم نقل كلّها، تدور في فلك تعريف إدوارد سعيد؛ إذ يرى أنّ الاستشراق، يمكن أن يُحلَّل ويُناقَش "بوصفه المؤسّسة المشتركة للتّعامل مع الشرق-التعامل معه بإصدار تقريرات حوله، وإجازة الآراء فيه وإقرارها، وبوصفه، وتدريسه، والاستقرار فيه، وحكمه: وبإيجاز، الاستشراق كأسلوب غربيّ للسيطرة على الشرق، واستبنائه، وامتلاك السيادة عليه"(سعيد، الاستسراق: 2010، ص39)؛ فقد ذهب أحمد صلاح بهنسي، مثلًا، إلى أنّ الاستشراق هو: حركة علميّة غربيّة، ظهرت لخدمة الأهداف الاستعمارية على بلدان العالم الإسلاميّ الشرقيّ، من خلال دراسة شؤون الشرق كافّة؛ سياسيًّا، واقتصاديًّا وتاريخيًّا، وأنتروبولوجيًّا، خاصّة أنّ المصطلح كان قد ظهر مع بدايات الحركة الاستعماريّة الغربيّة لبلدان الشرق؛ آسيا وإفريقيا، في القرن الثامن عشر، في ظلّ الاستعمار وبرعايته ولخدمته (ينظر: الهنسي، 2007، ص459)، وهو ما ينسجم ويتقاطع كثيرًا مع ما ذهبت إليه فاطمة جان أحمدي في تعريفها للاستشراق اليهوديّ؛ فهو "الحركة العلمية اليهودية التي تهدف إلى دراسة كلّ شؤون الشرق الإسلامي، السياسية، والاقتصادية، والتاريخية، والجغرافية، والأنتروبولوجية، وغيرها، من خلال اتّباع منهج ديني، والهيمنة على البلدان الإسلامية؛ من أجل تحقيق أهدافها الدينية والسياسية، وتحقيق الهيمنة العلمية على العالم الإسلامي" (أحمدي، الاستشراق اليهودي، ترجمة: عماد الهلالي، فبراير 15، 2018 https://nosos.net).

وعلى كلّ حال، فإنّ الدراسات الاستشراقيّة في أواخر القرن الثامن عشر، وبداية القرن التاسع عشر، كانت قد "أضحت تمثّل مؤسّسة استراتيجيّة بدأت تنتظم في نسق واحد يعتمد تقنيّات ومناهج محدّدة؛ حيث ازدادت فيه أهميّة المعرفة المنظّمة بالشرق، وهي معرفة دعمتها المواجهة الاستعماريّة، فافتضح أمر الاستشراق وانكشفت نواياه"(بخوش، 2004، ص283)، وهو ما جعل إدوارد سعيد لا يتردّد في وصفه بأنّه أسلوب غربيّ للسيطرة على الشرق وامتلاك السيادة عليه "الاستشراق بصفته المؤسّسة الجماعيّة للتعامل مع الشرق، والتعامل معه معناه التحدّث عنه، واعتماد آراء معيّنة عنه، ووصفه، وتدريسه للطلاب، وتسوية الأوضاع فيه، والسيطرة عليه: وباختصار بصفة الاستشراق أسلوبًا غربيًّا للهيمنة على الشرق، وإعادة بنائه، والتسلّط عليه"(سعيد، 2006، ص45-46. ينظر أيضا: سعيد، 2010، ص73). فالاستشراق، كما يراه سعيد، هو "نهج من الرؤيا، والدراسة، والكتابة المنظَّمة والمقنَّنة (أو المشرقنة) تسيطر عليه الضرورات الحتميّة، والمنظورات، والأهواء العقائديّة الملائمة، ظاهريًّا، للشرق. فالشرق يُدرّس، ويُبحث، ويُدار، وتُصدر عليه الأحكام بطرق معيّنة خفيّة محترسة"(سعيد، 2010، ص 214).

فليس من السهل تحديد أهداف الاستشراق وحصرها؛ لتعدّدها، وتداخلها؛ فتارة يكون الهدف علميًّا، ثم سرعان ما ينقلب استعماريًّا، أو غير خال من أيديولوجيّة تؤثّر في المستشرق ونتائج بحثه، إضافة إلى الجوانب الاقتصاديّة والتاريخيّة والدينيّة والنفسيّة،

وغيرها من الدوافع الثانويّة نحو "أسباب شخصيّة مزاجيّة عند بعض الذين تهيّأ لهم الفراغ والمال، واتّخذوا الاستشراق وسيلة لإشباع رغباتهم الخاصّة في السفر والترحال، أو في الاطّلاع على ثقافات العالم القديم، ويبدو كذلك أنّ فريقًا من الناس دخلوا ميدان الاستشراق طلبا للرزق عندما ضاقت بهم سبل العيش العادية، أو دخلوه تخلّصا من مسؤوليّاتهم الدينيّة المباشرة في مجتمعاتهم المسيحيّة" (البهي، 1964، ص523. ينظر أيضا: بن بو زيد، 2015، ص20-24. ينظر أيضا: احمامو. 2018، ص142. ينظر أيضا: الزيادي، 1998، ص32-47). ومهما تعدّدت هذه الأهداف، فإنها قد تركّزت في خلق التخاذل الروحيّ، وإيجاد الشعور بالنقص في نفوس المسلمين والشرقيّين عامّة، وحملهم من هذا الطريق على الرضا والخضوع للتوجيهات الغربيّة (البهي، 1964، ص524)، وهذا هو الخطر الأكبر الذي يهدف إليه الاستشراق، وبالتالي: كيف يمكن مواجهته والتعاطي معه؛ خاصة أنّ الثقافة الغربيّة "اكتسبت مزيدًا من القوّة والهويّة بوضع نفسها موقع التضادّ مع الشرق، باعتباره ذاتًا بديلة أو حتّى سريّة تحترضِيَّة"(سعيد، 2010، ص 39).

دوافع مشاركة اليهود في الحركة الاستشراقيّة:

لقد بلغ اهتمام المستشرقين اليهود بالأدب العربيّ القديم مبلغًا كبيرًا؛ وذلك لأسباب دينيّة وسياسيّة ارتبطت بالمصالح الدينيّة والسياسيّة في العالم العربيّ والإسلاميّ، ومن أهمّها تحقيق الهدف اليهوديّ الصهيونيّ القوميّ الخاصّ بإنشاء ما يسمّى بـ "الوطن القوميّ لليهود في فلسطين"؛ فقد غطّت الدراسات الاستشراقيّة اليهوديّة معظم المجالات السياسيّة والاقتصاديّة والدينيّة والفكريّة، كما اهتمّت أيضًا بالمجالات الخاصّة باللغات والآداب، والفنون والعلوم عند المسلمين(محمد خليفة حسن، المدرسة اليهودية في الاستشراق، ص11)، فشرع المستشرقون اليهود في قراءة التراث العربيّ بنصوصه المختلفة، بهدف الوقوف عند خصوصيّة العقل العربيّ عبر التاريخ، وتحليل مواطن الضعف والقوة، بغرض الهجوم والنقد(ينظر: بوكبل، 2015، ص9). ويعزو رجاء النقاش اهتمام المستشرقين اليهود بالفكر العربيّ والثقافة العربيّة والأدب العربيّ، إلى الحرب الثقافيّة ضدّ العرب، فهم "يهدفون إلى دراسة العرب وفهمهم فهمًا دقيقًا، حتّى يعرفوا موضع القوة وموضع الضعف فيهم، وحتّى يتمكّنوا من مواجهة العرب ورسم الخطط المناسبة لهذه المواجهة، بناءً على فهم دقيق ومعرفة واسعة، ويمكن أن نسمّي هذه الجهود الإسرائيلية كلّها باسم "الحرب الثقافيّة ضدّ العرب"، وهي الحرب التي تساند الحرب العسكريّة، وتمهّد لها.. فاليهود يصرّون على تسليح أنفسهم بفهم واضح للعرب من خلال أدبهم وثقافتهم وفكرهم، وذلك قبل مواجهتهم في الميادين العسكريّة أو الاقتصاديّة"(النقاش، 1973، نقلا عن: سمايلوفيتش، 1998، ص152).

وينبغي أن نشير إلى الرأي القائل بأنّ الاهتمام اليهوديّ بدراسة العالم العربيّ والإسلاميّ، ليس وليد الحاجة القوميّة اليهوديّة الحديثة والمعاصرة، بل إنّ ظهور الإسلام كان البداية الحقيقيّة للاهتمام اليهوديّ بدراسة الإسلام والمجتمع الإسلاميّ (خليفة حسن، 2003، ص12. ينظر أيضا: أبو هاشم، 2016، ص53)؛ خاصّة أنّه أتى برؤية دينيّة ناقدة ومصحِّحة لليهوديّة والمسيحيّة، وللوضع الدينيّ في العالم القديم كلّه؛ إذ شعر اليهود آنذاك بأنّهم أمام دين قويّ ينافس اليهوديّة والمسيحيّة، وبالتالي، فقد اعتُبِر مُهَدِّدًا لهما في المناطق التي فتحها الإسلام، وكان ذلك إيذانًا ببداية الشعور اليهوديّ والمسيحيّ بما سمَّوْه بالخطر الإسلاميّ، وشكّل تحدّيًّا دينيًّا لا يمكن التصدّي له إلّا من خلال المعرفة بالإسلام وبطبيعة المجتمع الإسلاميّ؛ ولذلك، بدأت هناك حركة علميّة بين اليهود، هدفها دراسة الإسلام في محاولة لغزوه من الداخل، والتأثير فيه من خلال محورين؛ الأول الذي أصاب علم التفسير والتاريخ عند المسلمين؛ إذ تسرّبت إلى هذين العلمين بعض الأفكار اليهوديّة التي اصطلح المفسرون وعلماء الحديث على تسميتها بـ "الإسرائيليّات"؛ وهو مصطلح يعني الأفكار والمفاهيم الإسرائيليّة التي دخلت في بعض كتب التفسير والحديث والتاريخ الإسلاميّ. أما التأثير الثاني، فتمثّل بظهور بعض الفرق والمذاهب الإسلاميّة المتأثّرة بالأفكار والمفاهيم اليهوديّة (خليفة حسن، 2003 ص14. ينظر كذلك: الزيادي، الاستشراق: 1998، ص99).

فالاستشراق اليهوديّ إذن، استشراق قديم، بدأ مع بداية الإسلام، وكنوع من المواجهة الفكرية اليهوديّة للدّين الإسلاميّ. وتستخدم كلمة "استشراق" هنا تجاوزًا؛ وذلك لأنّ اليهود في تلك الفترة لم يكونوا من الغرب، إنّما كانوا من العرب، ومن البلاد الإسلاميّة، ولكن دراساتهم عن الإسلام، ونتائجها في الفكر الإسلاميّ، تدخل في مضمون الاستشراق، وتتشابه مع نتائج الاستشراق اليهوديّ الحديث، وهو نتاج غربيّ خالص. وقد رأى اليهود أنّ الاستشراق باب خطير من أبواب التسلّل إلى البلاد التي يحلمون بالسيطرة عليها، وفق طريقتهم، ويريدون أن يتّخذوا لأنفسهم صنائع فيها من أبنائها؛ فتخصّص فريق منهم بالدراسات الشرقيّة، وتابعوا المسيرة ضمن خططهم، حتى احتلّوا عددًا كبيرًا من كراسي الدراسات الشرقيّة في الجامعات الكبرى، وأخذوا يخدمون الأغراض اليهوديّة الصهيونيّة تحت ستار أغراض المستشرقين المسيحيّين، وأغراض الدوائر الاستعماريّة (بني عامر، 2004، ص56).

وبالتالي، فقد تضافرت أسباب عدّة وراء الاستشراق اليهوديّ، يمكن إيجازها على النحو التالي:

- الدوافع الدينيّة: يتّفق كثير من الدارسين (ينظر: الزيني، الاستشراق اليهودي، 2011، ص282-286. ينظر أيضا: زقزوق، 1989، ص59-67. ينظر أيضا: السباعي، (د.ت، ص20-24. ينظر أيضا: الصغير، 2012، ص13-18. ينظر أيضا: بني عامر، 2004، ص31-40). على أنّ اليهود كانوا قد سارعوا إلى ولوج باب الاستشراق، تحرّكهم عقدة الانتقام من الدين الإسلاميّ، لذلك، سعوا بكلّ طاقتهم لتشويه صورة الإسلام والرسول، على نحو ما نجده لدى "جولدتسهير"، في هجومه على مفردات القرآن، ومزاعمه في أنّ

آياته مستمدّة من نصوص التوراة. وقد حاول المستشرقون اليهود بكلّ ذكائهم، وسعة اطّلاعهم، وإجادتهم للعديد من اللغات، وخبرتهم بعادات الشعوب، أن يستبسلوا في الدفاع عن دينهم وتصوّراتهم العقائديّة وفلسفتهم الحياتيّة، وتاريخهم وتراثهم، وتبرئتهم من التهم التي ألصقت بهم عبر التاريخ القديم والحديث، من جهة، ومن جهة أخرى، سعوا إلى رسم صورة ناصعة لإسهامات اليهود وفضلهم في بناء الحضـارة العربيّــة الإسلاميّــة.

ومما زاد من اهتمام المستشرقين اليهود، تلك الفكرة التي نادى بها رجال الدين اليهود، منذ ظهور الإسلام، وهي مستمرّة حتى الآن، ومفادها أنّ الإسلام مقتبس من اليهوديّة، لذلك، ترجم القرآن عدّة مرات، وعولجت السيرة النبويّة وجميع المواضيع الإسلاميّة، من عبادات وعقائد، بعناية فائقة، مقارنة بما يقابلها في الديانة اليهوديّة، وقد احتلّت دراسة الطرائق الصوفيّة، والفرق والمذاهب الإسلاميّة مساحة لا بأس بها من كتابات المستشرقين، سعيًا وراء البحث عن مصادر الانقسام في صفوف الإسلام والمسلمين(ينظر: أبو هاشم، 2016، ص97). فالاستشراق اليهودي الإسرائيلي، وإن كان يفتقد الأهداف الدينيّة التبشيريّة المألوفة في الاستشراق الأوروبيّ النصرانيّ، إلّا أنّه اتّخذ شكلًا آخر لا يخلو من دوافع دينيّة، ويتمثّل هذا النوع من الدراسات التي تعكس صورة من صور "الصراع الحضاري"، اليهوديّ الإسلاميّ، والذي تترجمه تلك المحاولات المتواصلة من لدن المستشرقين الإسرائيليين لتشويه صورة الإسلام ونقض دعائمه وأسسه (ينظر: إدريس، 1995، ص94-109. ينظر أيضا: أبو هاشم، 2016، ص83-87. (للاستزادة حول مؤسسات الأبحاث الإسرائيلية، ينظر: عبد الكريم، 1993، الفصل الثالث، ص101- 178).

- الدوافع السياسيّة: لقد نشأ الاستشراق الإسرائيليّ أساسًا لخدمة الأهداف السياسيّة الإسرائيليّة والصهيونيّة، والتي من أهمّها محاولة تأصيل التواجد اليهوديّ في البلدان العربيّة، من أجل إثبات وجود حق تاريخيّ لليهود في هذه المنطقة، وأنّهم ليسوا دخلاء عليها، وما منشورات مركز أبحاث "يد بن تسفي" الإسرائيليّ التابع للجامعة العبريّة في القدس، المتخصّص بتاريخ الجماعات اليهوديّة في العالم العربيّ والإسلاميّ، إلّا محاولة لإعادة "التأريخ" لهذه الجماعات اليهوديّة على نحو يثبت مدى ارتباطها بالبلدان العربيّة (الهنسي، 2018، ص 18).

فقد كان العامل السياسيّ حاضرًا بقوّة في عقليّة جمهور المستشرقين اليهود، وحلمه في إقامة دولة تجمع أشتاتهم وتوحّد أفرادهم، وظلّ هذا الحلم يحرّك عقولهم، وتوحّدوا في خدمة المشروع الصهيونيّ الذي نادى بإقامة دولة لليهود في فلسطين. وقد وظّف كثير من المستشرقين اليهود أبحاثهم العلمية لخدمة هذا المشروع، وراحوا ينقّبون في الآثار ويقلّبون دفاتر التاريخ، ويركّزون على دور العلماء اليهود الذين عاشوا في فلسطين، وتعاون كثير منهم مع الدول الاستعماريّة بطريقة مباشرة، وقدّموا خدماتهم لمن يدفع أكثر، ووضعوا بحوثهم العلميّة ودراستهم الواسعة للفقه الإسلاميّ وتاريخه، وللحضارة العربيّة الإسلاميّة لمساعدة المشروع الاستعماريّ وإحكام السيطرة على الدول العربيّة، والأمثلة على ذلك كثيرة، ومنها، على سبيل المثال لا الحصر، التقاء أفكار المستشرق الفرنسي "ألفونس دي لامارتين" مع الصهيونيّة بأنّ فلسطين صحراء خاوية تنتظر من يزرعها، وأنّ سكانها من الرحّل الذين لا قيمة لهم ولا حقّ فعليًّا لهم في هذه الأرض(سعيد، 2006، ص 437)، الأمر الذي كان له تداعيات كبيرة، وعلى رأسها انطلاق الخطاب الصهيونيّ بأنّ هذه الأرض هي "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، وهو ما انعكس بشكل واضح في تصريح رئيسة الوزراء الإسرائيليّة "غولدا مئير"؛ "لا يوجد هناك شعب فلسطينيّ". وبالتالي، هناك من يرى أنّ هذا التعاون من جانب بعض المستشرقين مع الصهيونيّة والاستعمار كان قد شوّه صورة الاستشراق، وأساء إلى دوره في خدمة التراث العربيّ الإسلاميّ، وأدّى إلى خصم الكثير من رصيده العلميّ، وزعزع مفهوم الموضوعيّة الذي يتشدّق به الغرب دائمًا (الزيني، 2011، ص286-291. ينظر أيضا: زقزوق،1989، ص59-67. ينظر أيضا: السباعي، د.ت، ص20-24. ينظر أيضا: الصغير، 2012، ص13-18. ينظر أيضا: بني عامر، 2004، ص31-40).

إضافة إلى هذين العاملين الأساسيّين، فقد كان هناك دوافع علميّة، إذ كان هناك بعض المستشرقين اليهود ممّن كان دافعهم علميًّا خالصًا من أجل استكشاف الأبعاد الدينيّة والفلسفيّة والأدبيّة والفنيّة للحضارة العربيّة العظيمة (الزيني، 2011، ص292-296)، ودوافع تاريخيّة؛ حيث دأب المستشرقون اليهود على استدعاء تاريخهم القديم، ونفخ الروح فيه، والتأكيد المستمرّ على حقّهم التاريخيّ في أرض فلسطين (الزيني، 2011، ص302. ينظر: زقزوق، 1989، ص59-67. ينظر أيضا: السباعي، د. ت، ص20-24. ينظر أيضا: بني عامر، 2004، ص31-40). وهناك أيضًا الدوافع الماديّة؛ إذ شكّل الاستشراق بابًا واسعًا للرزق بالنسبة للمستشرقين، وتحقيق بعض الثروات[1] (ينظر: الزيني، 2011، ص302-304)، ثم الدوافع النفسيّة؛ فقد أشار عدد من الباحثين (ينظر: الزيني، 2011، ص280-282. ينظر أيضا: زقزوق، 1989، ص59-67. ينظر أيضا: السباعي، د.ت، ص20-24. ينظر أيضا: الصغير، 2012، ص13-18. ينظر أيضا: بني عامر، 2004، ص31-40). إلى أنّ المستشرقين اليهود سعوا إلى تغيير الصورة النمطيّة التي التصقت بهم، وإخفاء معالمها، ومحو ذلك النقص الذي ارتبط

(1) قارن بين ما جاء هنا، وبين ما ورد على لسان "يهوشع بلاو"؛ إذ يتحدث بشكل صريح عن العامل الماديّ الذي دفع والده لتوجيهه نحو دراسة اللغة العربية لتأمين جانب العيش

به من خلال التعويض الزائد، وبالتالي، التحرّر من نظرة المجتمع الدونيّة لهم؛ مؤكّدين ووجودهم الماديّ والمعنويّ، لا سيّما أنّهم يؤمنون بتفوّقهم وقدرتهم على الإبداع، طرحهم أفكارًا جديدة غير مسبوقة.

توظيف الاستشراق لخدمة الأهداف اليهوديّة:

يتّفق كثير من الباحثين (ينظر مثلا: الهنسي، الاستشراق الإسرائيلي: الإشكالية والسمات والأهداف، 2007، ص 471-472. وكذلك ينظر: الهنسي، 2015، ص196-197. ينظر أيضا: بخوش، 2004، ص286. ينظر أيضا: بو زيد، 2015، ص31) أنّ من أهم أهداف الاستشراق اليهوديّ والغربيّ هو زرع بذور الشكّ في التاريخ الإسلاميّ، وتشويه المصادر الأساسيّة للإسلام؛ القرآن الكريم، والحديث الشريف؛ للتّشكيك في مدى مصداقيّتها وصحّتها، ومن أبرز وسائله في ذلك إعداد ترجمات عبريّة غير أمينة ومشوّهة لمعاني القرآن الكريم، وتزويدها بهوامش تردّ المادة القرآنية لمصادر يهوديّة ومسيحيّة ووثنية. وتذهب عائشة عبد الرحمن إلى أنّ مهمّة الاستشراق اليهوديّ هي قذف الفكر الإسلاميّ المعاصر ببدع من تأويلات عصريّة للقرآن مشحونة بالإسرائيليّات، تزيّن للناس أن يأخذوا دينهم بتأويل علماء هذا الزمان (عبد الرحمن، 1975، ص153. ينظر أيضا: بخوش، 2004، ص288)، ومثل هذه الأهداف تتقاطع مع الاستشراق الغربيّ العامّ، فتقول فاطمة جان أحمدي: "ولو نظرنا بواقعية إلى تاريخ الدراسات الإسلاميّة في الغرب، سيتجلّى لنا بوضوحٍ أنّ البحوث العلميّة في مجال التاريخ الإسلاميّ كانت متأثّرة بالأحكام المسبّقة، وذات الصبغة الحادّة والناقمة على الإسلام، أو الاتّجاهات التي تسعى لتحقيق أهدافٍ سياسية من خلال استثمار الآليّات المنهجيّة للدراسات الاستشراقيّة"(جان أحمدي، الاستشراق اليهودي، ترجمة: عماد الهلالي، فبراير 15، 2018 https://nosos.net)، ويؤكد العديد من الدارسين(ينظر مثلا: البهي، 1964، ص543. ينظر أيضا: زقزوق، 1989، ص61-62. ينظر أيضا: بني عامر، 2004، ص58) أنّ عداوة اليهود للإسلام واضحة كالشمس، من يومه الأول إلى يومنا هذا، ومكائد اليهود للإسلام متتابعة، وقد وجدوا في مجال الاستشراق بابًا ينفثون منه سمومهم ضدّ الإسلام وأهله، فدخلوا هذا الباب بعباءة العلم، كما وجدوا في الصهيونية بابًا آخر، يفرضون منه سيطرتهم على العرب والمسلمين، وهو ما يؤكّده أحمد البهي أيضًا في قوله إنّ هناك من الأهداف ما هو خاص بالمستشرقين اليهود خاصّة؛ إذ يبدو أنّ هؤلاء قد أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينيّة؛ وهي محاولة إضعاف الإسلام، والتشكيك في قيمه بإثبات فضل اليهوديّة على الإسلام بادّعاء أنّ اليهوديّة، في نظرهم، هي مصدر الإسلام الأوّل، ولأسباب سياسيّة تتّصل بخدمة الصهيونيّة: فكرة أولًا ثم دولة ثانيًا (البهي، 1964، ص523- 524).

وقد اهتمّ المستشرقون اليهود بالأدب العربيّ والشعر والأدباء بشكل واسع وملفت، وقد تنوّعت دراساتهم لتشمل التاريخ، قديمه وحديثه، ماضيًا وحاضرًا، والحضارات التي سكنت هذه البقعة، ولم يبق أيّ من المجالات أو المواضيع ولم يكتب فيها ضمن توجّه هو في الأغلب يستخدم التاريخ لمصلحة اليهود، وفيه الكثير من التجنّي وإعلاء للذات على حساب الآخر (ينظر: أبو هاشم، 2016، ص96-97).

وتتعدّد مظاهر الاهتمام الإسرائيلي بالشرق العربي الإسلامي، بمكوّناته المختلفة، حيث يبرز في الميزانيّات الضخمة الموجّهة للأبحاث العلميّة التي تتناول هذا الشرق. وشجّعت الباحثين على الحضور المكثّف في المؤتمرات الاستشراقيّة، والاحتكاك بمستشرقي العالم، وتبادل الخبرات في هذا المضمار (ينظر: بوكبل، 2015، ص11). ولمّا كانت الحكومات الإسرائيليّة المتعاقبة تدرك مدى أهمية الدور الذي يقوم به هؤلاء المستشرقون الإسرائيليّون، فإنّنا نعثر على كثير منهم يشغلون مناصب على درجة من الأهميّة في الحكومة والاستخبارات الإسرائيليّة، أمثال: "يهوشفاط هركابي"، و"مناحيم ميلسون"، و "يوسف جينات"، ممّا يدلّ على أنّ الاستشراق الإسرائيليّ يتجاوز الدراسات الأكاديميّة العلميّة، ويتحوّل إلى مصدر معلومات وأداة استشارة (ينظر: بوكبل، 2015، ص12).

تأثير الاستشراق اليهودي في الدراسات الإسلاميّة في الغرب:

يُلاحظ أن كثيرًا من المستشرقين اليهود يحملون جنسيّات غربيّة، وفي المقابل، استقوا معظم نظريّاتهم وأطروحاتهم من الحركة الاستشراقيّة الغربيّة، وركّزت جهودهم على دراسة الموروث الشرقيّ، وكان واضحًا مدى ارتباطهم بالحركة الصهيونيّة، ودعمهم للموجة الاستعماريّة ضمنيًّا وتصريحيًّا. فقد بدأ المسار الفعليّ للاستشراق الإسرائيليّ بعد سنة 1948، من خلال مجموعة مستشرقين ولدوا بفلسطين، واهتمّوا بتعليم اللغة العربيّة وأدبها كجزء من استراتيجيّتهم لاكتشاف المنطقة من خلال معرفة الآخر، ولتحقيق هذا الهدف، أقيمت مدرسة الدراسات الشرقيّة في الجامعة العبريّة، في القدس، والتي تعنى بدراسة الحضارة العربيّة والإسلاميّة، وينبغي أن نشير هنا إلى أن "يهوشع بلاو" كان من خرّيجي هذه المدرسة عام 1942. (للاستزادة في المعلومات عن هذه المدرسة ينظر: عبد العزيز، 1997، 251-282).

فقد اشتهر المستشرقون اليهود بأنّهم من أوائل الذين بادروا إلى ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة العبريّة واللغات الأوروبيّة[2]، وسعى هؤلاء، من وراء تلك الترجمات، إلى تحقيق أهداف ثقافيّة، ودينيّة، وسياسيّة أيضًا، فحظيت هذه الترجمات بأهمّية كبيرة،

(2) عُرفت ثلاث ترجمات للقرآن إلى العبرية قبل القرن التاسع عشر كانت محفوظة في مخطوطة ولم يُطبع أي منها:

وأحدثت تيارًا علميًّا هامًّا في الدراسات التاريخيّة وغيرها؛ ولا رَيْبَ في أنّ هذه الترجمات، كما يذهب أحمد الهنسي وآخرون(ينظر: أحمدي، https://nosos.net 2018، وينظر أيضا: الهنسي، 2019، ص14)، كانت قد اشتملت على أغلاطٍ وخَلْط في المواضيع والمطالب، الأمر الذي أثر تأثيرًا عميقًا في الدراسات الإسلاميّة في الغرب؛ فكان هناك الكثير من سوء الفهم والتسرّع في استخلاص النتائج، وسطحيّة ناشئة عن الترجمات الخاطئة للقرآن في أوروبّا[3].

ومن نافل القول أنّ هذا الفهم الخاطئ الناشئ من الترجمات الأولى للقرآن كان قد انتقل إلى المجتمعات غير المسلمة، وبقي مسيطرًا على ذهنيّة المستشرقين لعدّة قرون. وإلى جانب هذه الترجمات للقرآن، أُنجزت دراسات شاملة في هذا المجال، وافتُتحت مراكز أبحاث ومعاهد علميّة تحمل عنوان "الدراسات الشرقيّة"، وتجدر الإشارة إلى أنّ أوّل خطوة في طريق الاستشراق والدراسات الشيعيّة كانت في الغرب وإسرائيل، وتدريجيًّا مُهِّدَتْ الطريق لإنشاء جامعات في هذا المجال. (ينظر: أحمدي،https://nosos.net 2018).

ويتّفق كثير من الباحثين (ينظر على سبيل المثال: الجندي، 1977، ص196. ينظر أيضا: أبو هاشم، 2016، ص80. ينظر أيضا: بني عامر، 2004، ص59. ينظر أيضا: السباعي. د.ت، ص74-75) على أن اليهوديّة قد وجدت أنّه ليس من الحكمة أن تستمرّ في صراعها مع الغرب المسيحيّ؛ لأنّ ذلك يبدّد طاقاتها، ولا يعود عليها بأيّة فائدة، ولهذا، أخذ اليهود يعملون للتحالف مع الغرب المسيحيّ لاستغلاله في تحقيق أهدافهم، ما يعني أنّ هذا الالتقاء بين التوجّه اليهوديّ والتوجّه الغربيّ كان قد انطلق من عداوة كبيرة للإسلام الذي شكّل الخطورة الأكبر على مشاريعهم الاستعماريّة، وخططهم في السيطرة على العالمين العربيّ والإسلاميّ اقتصاديًّا، علاوة على أنّ كليهما يعدّ الإسلام نقلًا عن اليهوديّة أو المسيحيّة، وبالتالي، كان لا بدّ لهؤلاء من تكوين جبهة لمواجهة الإسلام (ينظر: أبو هاشم، 2016، ص53).

ويذهب عبد القادر بخوش إلى أن طبيعة العلاقة التي تربط جماعة من المستشرقين، هي وحدها الكفيلة بتحديد نوع الاستشراق، ومن المؤكّد أنّ اليهوديّة الصهيونيّة استطاعت أن تلتقي بالفكر الغربيّ الذي مثّله الاستعمار التقاء تعاطف وتعاون في بداية الأمر، ثم التقاء احتواء بعد ذلك إبان تهويد المسيحيّة وانبثاق البروتستانتيّة (ينظر: بخوش، 2004، ص286)، ويضيف بأنّ البعد الأيديولوجيّ يتّضح أكثر عند محاولة التعرّف على الرؤية الموحّدة للاستشراق تجاه الإسلام بصفة خاصّة؛ فيرى إدوارد سعيد بأنّ المستشرقين قد يختلفون فيما بينهم، لكن، إذا تعلّق الأمر بدراسة الإسلام؛ فإنهم يتغاضون عن خلافاتهم، ويتجمعون على عدائه ومقته(ينظر: بخوش، 2004، ص286).

- نسخة محفوظة في مكتبة بودليان في أكسفورد. كتب هذه النسخة العالم اليهودي "جاكوب بن إسرائيل هاليفي" الذي ترجم القرآن من الإيطالية إلى العبرية عام 1636.
- نسخة ثانية محفوظة في المكتبة البريطانية بلندن. تمت كتابة هذه النسخة في القرن الثامن عشر بواسطة مترجم غير معروف.
- نسخة ثالثة محفوظة في مكتبة الكونغرس الأمريكية. ترجمة "إيمانويل جاكوب فان دورت" عام 1757.

أما في العصر الحديث، فهناك عدة ترجمات:

- ترجمة Zvi Herman Reckendorff تسفي هيرمان ريكيندورف הרמן רקנדורף عام 1857
- ترجمة Yosef Yoel Rivlin يوسف يوئيل ريفلين יוסף יואל ריבלין عام 1936.
- ترجمة Aharon Ben-Shemesh أهارون بن شيمش אהרן בן שמש عام 1971.
- ترجمة Uri Rubin أوري روبين אורי רובין عام 2005.

(ينظر: ***חוקר מצרי: תרגומי הקוראן לעברית בידי יהודים - מסולפים במכוון ואינם משקפים אותו נכונה*** (המכון לחקר תקשורת המזרח התיכון. THE MIDDLE EAST MEDIA RESEARCH INSTITUTE - 2019/3/1). ترجمة عنوان المقال: "باحث مصري: ترجمات اليهود للقرآن إلى العبرية - يتم تحريفها عمدًا ولا تعكسه بشكل صحيح". والمقصود بالباحث هو أحمد الهنسي).

(3) ومن أمثلة ذلك كتاب "מקורות יהודיים בקוראן" (مصادر يهوديّة في القرآن) لمؤلّفه الحاخام والمستشرق الإسرائيليّ "أندريه شالوم زاوي" א. שלום זאוי الصادر عام 1983، والذي يُعدّ من المؤلّفات النادرة التي تركّز بالتحليل والنقد على الآيات القرآنيّة؛ إذ شمل جميع سور القرآن الكريم، وفيه يردّ عددًا كبيرًا من الآيات القرآنيّة إلى مصادر دينيّة يهوديّة قديمة ومتأخّرة، وإلى مصادر أخرى غير أصيلة، إضافة إلى اعتبار عدد من ألفاظه ذات أصول "عبريّة" وأخرى أجنبيّة .

ويُعد الكتاب من المؤلّفات التي تعكس مرحلة "الاستشراق الإسرائيليّ"؛ بوصفها واحدة من أهمّ مراحل المدرسة اليهوديّة وأخطرها في الاستشراق، كما أنّه يعكس سمات هذه المرحلة وما يميّزها عن المراحل الاستشراقيّة الأخرى، وعن مدارس استشراقيّة غربيّة عامّة؛ وبخاصّة في ما يتعلّق بفهم الرؤية الاستشراقيّة الإسرائيليّة للقرآن الكريم، وكيفيّة توظيف هذه الرؤية ومحاولة ترويجها في الغرب؛ سواء في المحافل العلميّة، أو حتّى الإعلاميّة، وفي الوقت نفسه كيفيّة توظيفها في الداخل الإسرائيليّ، لتقديم صورة مغلوطة ومشوّهة عن القرآن؛ باعتباره الكتاب المقدّس للمسلمين والمصدر الأول لعقيدتهم الدينيّة، وهو ما يمثّل إضافة معرفيّة وعلميّة لفهم الاستشراق الإسرائيليّ ومثاقفته على نحو جيّد . (ينظر: أحمد الهنسي، كتاب **"مصادر يهودية في القرآن" للمستشرق شالوم زاوي**، مجلة القرآن والاستشراق المعاصر، عدد 3، سنة أولى، 2019، ص14).

ويذهب أشرف بدر إلى أن الصهيونيّة تلتقي مع الاستشراق في الجذور الفكريّة؛ إذ إنّ هناك مقامات مشتركة بينهما قائمة على النظرة الاستعلائيّة العنصريّة، مع ادّعاء النقاء والتفوّق، وبالتالي، فإنّ الأيديولوجيا الاستعماريّة الغربيّة المبنيّة على مفاهيم الاستشراق، تعدّ أحد أهمّ المصادر للأيديولوجيا الصهيونيّة؛ فالدافع الدينيّ للاستشراق كان قد التقى مع الطموحات الصهيونيّة، وحصل ذلك الانسجام الكبير بين أهداف الاستشراق الدينية والصهيونية.. وتقاطعت مصلحة الاستعمار مع الصهيونيّة سياسيًّا واقتصاديًّا وأمنيًّا، فتحولت "إسرائيل" إلى أداة استعماريّة لحماية المصالح الغربيّة (ينظر: بخوش، 2004، ص286).

ويرى عبد اللطيف زكي أبو هاشم، أنّ الاستشراق اليهوديّ هو قسم ملتئم غير منفصل عن المشروع الغربيّ؛ فهناك قاسم مشترك بين الاستشراقين، فضلا على الدور المهم للدراسات الأولى للاستشراق، التي لم يكن لتقوم لها قائمة لولا جهود "شبرنجر"، و"جولدتسهير"، و"مونك"، وغيرهم؛ فالتوافق بين المستشرقين اليهود والاستشراق الغربيّ المسيحيّ، في نظره، قائم منذ أمد بعيد، في الوجهة العامّة حول الإسلام، ولكنّه اختلف في التماس المستشرقين اليهود جوانب معينة تخدم قضيّتهم(ينظر: أبو هاشم، 2016، ص79-80).

وهكذا، وبعد أن أدرك المستشرقون اليهود عزلتهم في أوروبا، كما يشير محمود زقزوق، "نجحوا في أن يصبحوا عنصرًا أساسيًّا في إطار الحركة الاستشراقية الأوروبيّة النصرانيّة؛ فقد دخلوا الميدان بوصفهم الأوروبيّ لا بوصفهم اليهوديّ، وقد استطاع "جولدتسهير" في عصره- وهو يهوديّ مجريّ- أن يصبح زعيم علماء الإسلاميّات في أوروبا بلا منازع، ولا تزال كتبه، حتى اليوم، تحظى بالتقدير العظيم، والاحترام الفائق من كل فئات المستشرقين" (زقزوق، 1989، ص60. ينظر أيضا: بني عامر، 2004، ص57. ينظر أيضا: إدريس، 1995، ص83-84)، ومن الصعب أن تجد ما يشير في الدراسات المختلفة إلى يهوديّته، ولا إلى يهوديّة الفرنسي "سالومون مونك"، ولا إلى البريطاني "ريتشارد جوتهيل"، وغيرهم (ينظر: إدريس، 1995، ص84. ينظر أيضا: زيدان، 2013، ص2. ينظر أيضا: أبو هاشم، 2016، ص52، وص58، وص175 كذلك. ينظر أيضا: بو زيد، 2015، ص32).

وقد لاحظ مصطفى السباعي بعد جولته التي طاف بها على أكثر جامعات أوروبا سنة 1956، أنّ الاستشراق يحظى بمكانة عالية في جامعات لندن، وأكسفورد، وكمبردج، وأدنبرة، وجلاسك، وغيرها، ويشرف عليه يهود وإنجليز استعماريّون ومبشّرون، وهم يحرصون على أن تظلّ مؤلّفات "جولدتسهير" و "مرجوليوث" ، و"شاخت" من بعدهما، هي المراجع الأصليّة لطلاب الاستشراق من الغربيين، وللراغبين في حمل شهادة الدكتوراة عندهم من العرب المسلمين(ينظر: بني عامر، 2004، ص59. وكذلك ص58 من نفس الكتاب. ينظر أيضا: السباعي، د.ت، ص74-75. ينظر أيضا: الصغير، 2012، ص14).

وعليه، فقد رأى اليهود أنّه ليس من الصواب أن يعملوا داخل الحركة الاستشراقيّة كلّها، بوصفهم مستشرقين يهودًا، حتى لا يعزلوا أنفسهم، فيقلّ تأثيرهم؛ ولهذا، عملوا بوصفهم مستشرقين أوروبيين، فكسبوا فرض أنفسهم على الحركة الاستشراقيّة كلّها من جهة، وكسبوا، من جهة أخرى، تحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام، وهي أهداف تلتقي مع أهداف غالبية المستشرقين النصارى (ينظر: زقزوق، 1989، ص60. ينظر أيضا: بني عامر، 2004، ص57. ينظر أيضا: زيدان، 2013، ص3. ينظر أيضا: بخوش، 2004، ص283. ينظر أيضا: بو زيد، 2015، ص31).

فاليهود، كما يذهب محمّد الزيادي، كانوا قد استفادوا من التصاقهم بالغرب في عدم ظهورهم بشكل مستقلّ يعرّضهم للهجوم المباشر، ويجعلهم عرضة للمحاربة حتى من قبل الغربيين أنفسهم، ونتيجة لذلك كلّه، فضل المستشرقون اليهود العمل في الدائرة الغربيّة طوال مرحلة الشتات (ينظر: الزيادي، 1998 ص96). ومن الصعب تمييز مدرسة مستقلّة للاستشراق اليهوديّ، قبل النصف الثاني من القرن العشرين؛ فأغلب رواد هذه المدرسة كانوا يمارسون أدوارهم باعتبارهم غربيين لا يهودًا وصهاينة، الأمر الذي استفاد اليهود منه كثيرًا في خدمة قضاياهم الصهيونيّة مع تقديمها في قالب غربيّ، لضمان قبولها في أوساط العرب والمسلمين، مستغلّين في ذلك عقدة النقص الشرقيّة تجاه الغرب، ولا يجد الباحث عناء في اكتشاف سمات الاستشراق اليهوديّ الصهيونيّ، بعد محاولة الصهيونيّة السيطرة على زمام الأمور في العالم اقتصاديًّا وسياسيًّا وثقافيًّا، وأن توجّهها لصالحها، من خلال السيطرة على وسائل الإعلام العالميّة صناعة وخبرًا، حتى غدا تأثيرها واضحًا في مدارس الاستشراق الغربيّ، وكذلك استغلالها وتسخيرها لخدمة قضاياها (ينظر: الزيادي، 1998، ص95. ينظر أيضا: أبو هاشم، 2016، ص99-101).

فإذا كان المستشرقون اليهود قد ساروا، في البداية، في ركب الاستشراق الغربيّ، فإنّ الواقع المعاصر، كما تؤكّد أميرة قاسم أبو هاشم، هو استشراق يهوديّ، ظهرت سماته بعد أن أقاموا دولتهم، فلم يعودوا بحاجة للتستر خلف الاستشراق الغربيّ، بالرغم من التقارب والتقاء المصالح، إلّا أنّ ما نجده من موقف مساند لقضايا اليهود، ودور كبير للمستشرقين الغربيين، وما يقدّم لهم من إمكانات ومنح كبيرة لاستمرار قيامهم بهذا الدور، قد جعلنا ننظر للاستشراق المعاصر على أنّه استشراق يهوديّ (ينظر: أبو هاشم، 2016، ص99-101. ينظر كذلك: الزيادي، 1998، ص96).

خطورة الاستشراق اليهوديّ:

لا تكمن خطورة الاستشراق اليهوديّ في تغذية الحركة الاستشراقيّة والرأي العامّ في الغرب، كما أشار محمّد جلاء إدريس، بعناصر الصورة المشوّهة للإسلام، وبآرائهم المغرضة عن الأدب العربيّ (ينظر: إدريس،1995ص86. ينظر أيضا: أبو هاشم، 2016، ص53. ينظر أيضا: أحمدي، 2018 https://nosos.net. ينظر أيضا: زيدان، 2013، ص3-4)، وفي الاستفادة من الدعم الذي يتلقّاه هؤلاء من الغرب؛ إذ استطاعت دوائرهم السياسيّة استقطاب عدد من المستشرقين الغربيين لخدمة مصالحهم ومفاهيمهم (ينظر: أبو هاشم، 2016، ص77)، فحسب، بل "إنّ نشاطاتهم تعدّت لما هو أكثر خطورة علينا من خلال أولئك الذين يروّجون لآرائهم وأفكارهم ودعواتهم من العرب والمسلمين، وهؤلاء هم أعظم تأثيرًا بالقرّاء العرب أوّلًا، والغربيين ثانيًا، لأنّ الشهادة هنا لشاهد من أهله"(أبو هاشم، 2016، ص77)، ومعنى ذلك؛ أنّ التأثّر والتأثير كانا متبادلين بين الاستشراق اليهوديّ والآخر الغربيّ، من جهة، ومن جهة أخرى، وجد الاستشراق اليهوديّ له بابًا واسعًا للدخول إلى العالم العربيّ؛ إذ "روج له تلاميذ قاموا بخدمة مخطّطات اليهود، وأدّوا لهم أدوارًا، ما كان لليهود أنفسهم أن قاموا بها لهم نفس الأثر، وقد أصبحوا تلامذة مخلصين لأساتذتهم، وفي بعض الأحيان يقوم من يقوم بهذا الدور، لا عن سوء قصد أو نيّة، إنما لمحدوديّة النظرة إلى الأمور؛ فيقدّم خدمة جليلة لمن هم في الخانة المناوئة للإسلام"(ينظر: أبو هاشم، 2016، ص78. ينظر أيضا: حسن أحمد، 2021، ص112-113).

فاليهود هم من كانوا وراء ما لقي الإسلام "من بنيه المتفرنجين الذين حملوا إلى صميم وجودنا سموم المستشرقين اليهود، والذين خلبوا ألباب العامة ببدع من تأويلات عصريّة للقرآن مشحونة بالإسرائيليّات"(عبد الرحمن، 1975، ص153)، كما تذهب بنت الشاطئ، وبلهجة لا تخلو من السخرية والتهكّم تقول إنّ "كل الطرق تؤدي إلى تل أبيب"؛ فما أن تمّ تمهيد التربة الإسلاميّة بالغزو الفكريّ الاستعماريّ الذي فتن من فتن من أبناء الجيل، حتى كانت بضاعة الإسرائيليّات تتحرّك محوّمة حول الموقع الدينيّ الذي ظلّ الطريق إليه، إلى ماضٍ قريب، مسدودًا أو يكاد؛ فقد استهوتهم البضاعة بمظهرها الخلّاب، وغرّهم منها تعلّق هؤلاء الفرنجة الكبار بتراثنا الذي لا نكاد نعرف له قيمة، ونفاذهم العجيب إلى أخفى أسراره، واستيعابهم لما يغيب عن أهله من مصادره ومراجعه، ومن تفسيره ومنطقه"(ينظر: عبد الرحمن، 1975، ص154. ينظر أيضا: بو زيد، 2015، ص33).

فقد وصلت إلينا مثل هذه الأفكار والطروحات، من "حسن نية" فيما تفترض، بأنّ هؤلاء المفتونين بهذه "البضاعة القيمة" قد أرادوا إخصاب وجودنا الفكريّ بها، فكانوا هم الذين حملوها إلينا وروّجوها فينا وزكّوها لدينا؛ ترجمةً ونقلًا واقتباسًا، ومنّوا على جامعتنا الحديثة باستدعاء أساتذة من يهود المستشرقين، فمكّنوا لهم من اقتحام أعز معاقلنا الفكريّة بالجامعة (ينظر: عبد الرحمن، 1975، ص154. ينظر أيضا: بخوش، 2004، ص289).

وتتّفق أقوال بنت الشاطئ هذه مع ما جاء على لسان محمد عيساوي؛ إذ اتّخذ بعض المستشرقين (ينظر: حمدان، 1988، ص137-231. حيث يعرض في هذه الصفحات أسماء لعشرات المستشرقين الذين عملوا في المجمعات اللغوية في الأقطار العربية المختلفة) المجامع اللغويّة مطيةً لتسريب مطاعنه في اللغة العربيّة الفصحى من خلال بحوثه ودراساته التي يسهم بها في دراسات تلك المجامع، فكان هناك كثير من المستشرقين ممّن شارك في المجامع اللغويّة في كلٍّ من مصر ودمشق وبغداد وغيرها (ينظر: عيساوي، 2017، ص304).

وما حدث في المجال اللغويّ والثقافيّ، حسب أقوال بنت الشاطئ، هو أنّ الاستعمار "كان قد ترك في الشعوب التي سرق ألسنتها، من يدافعون من بينها عن لغته وثقافته، وترك في الشعوب التي شقّ عليه قهر عربيتها، دعاة من مثقّفيها إلى نبذ هذه اللغة البدويّة العقيم المسؤولة لا عن تخلّفنا العلميّ والحضاريّ وأمراضنا الاجتماعيّة فحسب، بل مسؤولة كذلك عن استعبادنا للسادة المستعمرين المتحضّرين"(عبد الرحمن، 1975، ص155). وبذلك، فقد انتقلت شحنة الإسرائيليّات من كتب المستشرقين المعزولة عن الجماهير والمتّهمة من الأمة، إلى كتب عصريّة بأقلام مسلمين شرقيين، وأخرجت إلى الناس في عدّة طبعات رُوّجت في الجماهير باسم العلم والإيمان العصريّ. وهو ما يتّفق مع أقوال أحمد سمايلوفتش: "وقد انزلق إلى هذا التزييف والواقع بعض تلاميذ الاستشراق من العرب، فألّفوا الكتب وكتبوا الرسائل، وأثاروا الشكوك في ماضي العرب وحاضرهم، وأدرك الصهاينة ما لهذه الكتب من آثار عميقة على الباحثين وعامة المثقّفين، فعملوا على تشجيعها وترويجها، واستخدموها في الدعاية لقضيتهم الباطلة" (سمايلوفيتش، 1998، ص151).

فهؤلاء، تلاميذ المدرسة الجديدة، من حملة الإسرائيليّات المسلمين، كما تصفهم بنت الشاطئ: "لا علم لهم بتراثنا في أوراقه الصفراء، ويعييهم الاتصال المباشر بكتب التفسير؛ إذ لم تصحّ لهم أدنى دراية بعلوم العربيّة والإسلام". (عبد الرحمن، 1975، ص153-156).

ويُجمع كثير من الدارسين (ينظر: حسن أحمد، 2021، ص112-113. ينظر أيضا: إدريس، 1995، ص95. ينظر أيضا: السباعي، د.ت، ص20-24. ينظر كذلك: الزيادي، 1998، ص97-98)، على أنّ الاستشراق اليهوديّ قد نجح في تحقيق هذا الأمر، من خلال سيطرة اليهود على مراكز الدراسات الإسلاميّة الشرق أوسطيّة، ومعاهدها، فكان لهؤلاء الأساتذة أثر كبير في الطلبة العرب والمسلمين الدارسين في الخارج، حتى أصبحوا مستغربين على أيدي هؤلاء المستشرقين، وقد وصفهم برنارد لويس في كتابه "الغرب والشرق الأوسط" بـ "حواريين من الشرق الأوسط للعلماء الأوروبيين" (ينظر: أبو هاشم، 2016، ص77. ينظر أيضا: لويس، 1978، ص14)، وقد فتح هذا الباب واسعًا

أحد أولئك المفتونين بالثقافة الغربيّة (طه حسين)، حينما ألقى محاضراته عن أثر اليهود في الأدب العربيّ، ودورهم في الجزيرة العربية (ينظر: أبو هاشم، 2016، ص77. ينظر كذلك: الزيادي، 1998، ص100).

أمّا زكي مبارك، وهو ممّن عُرف عنهم تأثّرهم بالثقافة الغربيّة بشكل عامّ، فيزعم في كتابه "الأسلوب القرآنيّ وإعجازه" أنّ القرآن يعطينا صورة للنثر الجاهليّ. وتضيف قائلة إنّ الأمر لم يقف عند حد نشر وتعزيز آراء الاستشراق اليهوديّ، بل قام لطفي السيّد، وكان ممثلًا عن الجامعة المصريّة، بحضور افتتاح الجامعة العبريّة في القدس، كما عهد هو نفسه على الاحتفال بالفيلسوف اليهوديّ موسى بن ميمون، في الأوبرا المصريّة، وقد حشد له الكثير من الإعلاميين ورجال الثقافة، كما سعى لإنشاء كراسي اللغات الساميّة (ينظر: أبو هاشم، 2016، ص78. ينظر أيضا في: عبد الرحمن، 1975، ص154).

وفي المقابل، ورغم خطورة الاستشراق اليهوديّ، باتجاهاته المختلفة، ودوره البارز في الحركة الاستشراقيّة، يشير محمّد جلاء إدريس إلى أنّنا لا نجد عمقًا في الدراسات التي تناولت هذه الحركة، ولا نجد تركيزًا على الدور اليهوديّ؛ فهي جمل أو فقرات محدودة نجدها في بعض المؤلّفات التي صدرت حول الاستشراق، بل قلّما نجد دراسة منفردة تتناول الاستشراق اليهوديّ منذ نشأته وحتى وقتنا الراهن (ينظر: محمد جلاء إدريس، الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، ص85)؛ فهناك تقصير في دراسة الاستشراق الإسرائيليّ من جانب الدارسين العرب، وربما يعود ذلك لمجموعة أسباب يحصر أحمد البهنسي أهمّها في:

أ- وجود إشكاليّة أساسيّة في تمييز الاستشراق الإسرائيليّ من حيث تاريخه ونشأته وموضوعاته واهتماماته عن الاستشراق اليهوديّ والصهيونيّ وكذلك الغربيّ؛ نظرًا لتداخل موضوعات واهتمامات هذه التقاليد الاستشراقية بعضها ببعض، لا سيّما في ظلّ شحّ الدراسات العربيّة التي تمكّنت من وضع حدود فاصلة بينها.

ب- عدم تقدير الدارسين العرب لأهمية الاستشراق الإسرائيلي وخطورة تأثيره؛ نظرًا لاتسام المستشرق الإسرائيليّ بالتعدّدية اللغويّة؛ فهو لا يكتب بالعبرية محدودة الاستخدام والانتشار فقط، لكن يكتب بلغات أجنبيّة أوروبيّة أخرى، ويشارك بأبحاثه في محافل علميّة دوليّة بشكلٍ دوري منتظم ينقل من خلالها أفكاره المغلوطة عن الإسلام والمسلمين، المشبَّعة بأيديولوجيّة استشراقيّة إسرائيليّة ذات خلفيّة صهيونيّة.

ج- صعوبة الحصول على دراسات استشراقيّة إسرائيليّة، لا سيّما تلك المكتوبة بالعبرية التي تعدّ اللغة الأساسيّة للاستشراق الإسرائيليّ رغم اتسامه بالتعددية اللغوية. وهذه الصعوبة نابعة من عدم وجود تعاملات وعلاقات علميّة أو ثقافيّة بين إسرائيل والدول العربيّة ووجود عراقيل أمنيّة كثيرة تحول دون استقدام كتب أو مراجع استشراقيّة إسرائيليّة، إضافة إلى أن الشبكة العنكبوتيّة لا تحلّ هذه المشكلة بقدرٍ كبيرٍ؛ فالدوائر الاستشراقيّة الإسرائيليّة تعرف جيّدًا احتياج الدارس العربيّ لهذه الدراسات، ولا تقوم بنشرها كاملة إلكترونيًّا إلّا بعد مرور سنوات عدّة على إصدارها، أو لا تنشرها إطلاقًا وتكتفي بنشر النزر اليسير عنها أو صفحات قليلة ومعدودة منها.

د- قلّة الدارسين العرب النسبية الذين يتقنون اللغة العبريّة، وهي اللغة الأساسيّة للاستشراق الإسرائيليّ، وما يرتبط بذلك من قلّة الأقسام والمخابر العلميّة ومراكز الأبحاث المتخصّصة في الاستشراق بشكل عامّ، والاستشراق الإسرائيليّ خاصّة. (ينظر: البهنسي في حوار خاص بعنوان "الاستشراق والاستشراق الإسرائيلي". https://tafsir.net/interview/18/al-astshraq-walastshraq-al-isra-iyly-1-2).

تلخيص واستنتاجات:

- سعت هذه الدراسة إلى رصد أثر الاستشراق اليهوديّ في الدرس اللغويّ العربيّ الحديث؛ إذ تحرّك داخل الحركة الاستشراقيّة بوصفه استشراقًا أوروبيًّا، وليس بوصفه استشراقًا يهوديًّا، فكان من الصعب تمييز مدرسة مستقلّة للاستشراق اليهوديّ قبل النصف الثاني من القرن العشرين؛ إذ أنّ غالبيّة رواد هذه المدرسة كانوا يمارسون أدوارهم باعتبارهم غربيين لا يهودًا وصهاينة، الأمر الذي استفادوا منه كثيرًا في خدمة قضاياهم الصهيونيّة مع تقديمها في قالب غربيّ، لضمان قبولها في أوساط العرب والمسلمين، مستغلّين في ذلك عقدة النقص الشرقيّة تجاه الغرب، وحتى أولئك الذين لم يعودوا بحاجة للتستر خلف الاستشراق الغربيّ، بعد إقامة اليهود لدولتهم، إلّا أنّه ليس من السهل أن نعثر لديهم على إشارات تدلّ على يهوديّتهم.
- يبدو أنّ الغرب كان شهد نهضة لغويّة واسعة بعد الحرب العالميّة الثانية، أدّت إلى قراءة موضوع الاستشراق قراءة مغايرة، على ضوء الوضع السياسيّ والاستعماريّ الجديد؛ خاصّة أنّ الفوقيّة التي كانت تطغى على المستشرقين عامّة، قد خفّت حدّتها بعد الحرب، ليستعيد الشرق مكانه السليم في الحياة الإنسانيّة، وبدأ الأدب الشرقيّ يفرض نفسه من جديد، ويؤدّي وظيفته التاريخيّة، وأخذت اللغة العربيّة تتحرّر من التصوّرات الخانقة المقولبة التي كانت ترافق دراستها على مدى عقود طويلة، وكأنّ الغرب، كما ذهب إدوارد سعيد، قد أدرك أنّه بحاجة إلى الشرق كعالم ينبغي دراسته؛ إذ بدا الشرق في ظلّ الظروف الجديدة التي تلت الحرب

شريكًا في هذه الجدليّة لوعي الذات الثقافي، خاصّة أنّ الغرب كان قد دخل مرحلة من الأزمة الثقافيّة نتيجة تقلّص سلطانه على بقيّة العالم.

- إنّ الواقع الجديد بعد الحرب كان قد أسّس لنظريّات بحثيّة ذات مكانة عالية من حيث شموليتها وبُعد تأثيرها، جعلت من دراسة اللسانيّات في اللغات المختلفة واقعًا ملموسًا لدى من التحق بأصحاب هذه النظريّات وتأثّر بهم، أو ترجم أعمالهم، وقد أثبت كثير من الباحثين، ومن بينهم "رابين" Chaim Rabin نفسه، تأثّر اللسانيّات الحديثة بالتراث اللغويّ العربيّ، إن من خلال الاطلاع المباشر على هذا التراث، وإن من خلال ترجمة أعمال النحاة واللغويين والبلاغيين العرب إلى لغات أجنبيّة كثيرة، وبالتالي، يمكن القول إنّ هذه النهضة ربّما كانت عاملًا حاسمًا لدى بعض المستشرقين اللاحقين، في أن يعيدوا قراءة اللغة العربية وتاريخ تطوّرها قراءة موضوعيّة حياديّة بعيدة عن أهداف الاستشراق، وأن يعيدوا التراث اللغويّ العربيّ إلى ما كان عليه مكانة وحضورًا وأثرًا في الدراسات اللغويّة الحديثة.
- أمّا بالنسبة للدارسين العرب، فقد تراوح الدرس اللغويّ لديهم بين درس متأثّر في جلّه بما أخذه من الغرب، وتحت شعار الحداثة والعلميّة والموضوعيّة، راح يُقرأ بعيون المستشرقين، وبين درس يلوذ بمرجع ثقافيّ يتمثّل في المحافظة وحماية العربيّة من الدعوات المغرضة، منطلقًا من أنّ تاريخ الدراسات الأوروبيّة للعربيّة، في بدايته، كان نشاطًا يعتمد على الاستفادة الفعّالة ممّا أنجزه اللغويّون العرب، وأنّ ما يرجع إلى البحث الحديث من معلومات المستشرقين عن بناء اللغة العربيّة كان محدودًا جدًّا، أمّا الجزء الغالب، فإنّهم يدينون بالفضل فيه إلى العلمـاء المسلمين في القرون السابقة، وبين درس آخر تمثّل في اتّباع النظريّات اللسانيّة التي طوّرها الغرب في سياقه الخاصّ، وقام على المزاوجة بين المنهج المستعار والموضوع العربيّ، إضافة إلى درس تمثّل في استثمار حصيلة الجهود المتراكمة، لتشكيل وعي علميّ بالعربيّة، ولسانيّ عامّ، تطرح فيه العربيّة أسئلتها وقضاياها الخاصّة.
- يخطئ من يظنّ أنّنا نرمي إلى إحاطة تراث العربيّة بهالة من القدسيّة، وأن نسيّج ما جاء به العلماء والنحاة الأوائل بأسوار يُحرّم اقتحامها، ويُطعن في كلّ من يوجّه له سهام النقد الموضوعيّ والبنّاء، لكن، المطلوب هو أن "نستوحي" لنخلق الجديد، سواء عبرنا المكان لننقل عن الغرب، أو عبرنا الزمان لننشر عن العرب الأقدمين، فلا يجب أن نكون ناقلين لفكر غربيّ، أو ناشرين لفكر عربيّ قديم، كما يقول زكي نجيب محمود، فلا النقل في الحالة الأولى، ولا النشر في الحالة الثانية يصنع مفكرًا عربيًّا معاصرًا، لأنّنا في الحالة الأولى سنفقد عنصر "العربيّ"، وفي الحالة الثانية سنفقد عنصر "المعاصرة، فليس كلّ ما يأتي به أولئك المستشرقون يستحقّ الوقوف عنده، بل يجب أن نميّز بين الغثّ والسمين منه، ولا يتأتّى ذلك إلّا حين تكون الأمّة على قدر من الوعي بتراثها اللغويّ؛ فلا تطارد ما ينتجه الغرب من نظريّات لغويّة حتى أصبح شغلها الشاغل، وتنزلق بمزالق الاستشراق الذي يضمر جرّ أبنائها إلى قضايا ومسائل تعمّق من الخلافات بينهم، وتثير الشكّ في نفوسهم، وفي تراث العربيّة؛ فليس الإشكال فيما يقوله هذا المستشرق أو ذاك، ولكن الإشكال هو أنّ بعض المحدثين استنسخوا جلّ ما لدى المستشرقين، وبنوْا عليه، في الوقت الذي كان عليهم أن يقرأوا التراث قراءة متأنّية محايدة موضوعيّة، ومن خلال توجّه منهجيّ واضح سمته الحداثة والمعاصرة، فربّما كان الأثر الاستشراقيّ سيبقى محدودًا لولا هذا الانجرار وراءه والإعجاب به عند بعض الدارسين والمحدثين.
- على الدرس اللغويّ العربيّ أن يوازن بين طرفيّ المعادلة، وأن يعمل على المصالحة بين العربيّ والغربيّ، بين الأصالة والمعاصرة؛ فعين على التراث، وعين على الحداثة، مع التشديد على إبقاء الدرس النحويّ خارج دائرة هذا الصراع، وإن حاول ويحاول البعض حشره في ذلك من خلال بعض المسائل ذات الصلة، كالعاميّة والفصحى، وحتّى يتسنّى ذلك، يجب دراسة موقف الغرب من الإسلام، لا سيّما وأنّ المرحلة التي وقف فيها أبناء العربيّة موقف المقلّد من المستشرقين قد انقضت، وتهيّأت سبل البحث والتحقيق، بعد أن كانت وعرة قبل النهضة العربيّة.
- وبالمقابل، لا يجوز أن إنكار دور بعض المستشرقين، ممّن جاءت آراؤهم وتوجّهاتهم مصحوبة بالنظر اللغويّ المحايد والموضوعيّ، خاصّة وأنّ في الكتب العربيّة ليس هناك ما يسدّ الفراغات الموجودة فعلًا، علاوةً على أنّ بعض الكتب العربيّة في معالجتها للدرس اللغويّ لا تتميّز بالعمق أو الجديّة التي تتّصف بها غالبًا كتب المستشرقين؛ فليس من الإنصاف أن نسحب أحكامنا على الاستشراق والمستشرقين جميعًا من حيث موجّهاتهم وأهدافهم المضمرة منها والمعلنة؛ وبالتالي، لا بدّ من استثماره في الإفادة والمنفعة.
- من جهة أخرى، يمكننا أن نلتمس عذرا للدارسين والمحدثين من أبناء العربيّة، فنحن لا نشك إطلاقًا في حسن نواياهم، ولا نقلّل من جهودهم وأثرها في الدرسّ اللغويّ، وفي طلاب العربيّة، ويقيننا هو أنّهم لو بُعثوا من جديد، لكان جلّهم، إن لم نقل جميعهم، قد نهجوا منهجًا آخر، وأنصفوا العربيّة بما تستحقّ من الإنصاف؛ فمثل هذا المجال من الدراسات ليس بالأمر السهل واليسير، لما يعتريه من صعوبات في البحث والتدقيق، ولا سيّما أنّه لا يزال علمًا حديثًا نسبيًّا، ولا يخفى أثر المستشرقين الذين دأبوا على نشر آرائهم ونظريّاتهم بشتّى الطرق والوسائل، في سبيل تحقيق المراد، والوصول إلى الغاية.

ملاحظة: هذا البحث هو بحث مستل من رسالة دكتوراة في اللغةِ العربيَّةِ وآدابِها بكليَّةِ الدراساتِ العليا في جامعةِ النَّجاحِ الوطنيَّةِ في نابلسَ، فلسطينَ.

بعنوان: العربيّة لدى الباحثين اليهود في الجامعات العبريّة؛ حاييم رابين وجاشوا بلاو أنموذجين. Arabic language among Jewish researchers in Hebrew universities: Chaim Rabin and Joshua Blau as a case study

إشرافُ: أ. د. محمد رباع. إعدادُ :فريد خليل نصار

ثبت المراجع:

1- إدريس، محمد جلاء. (1995). **الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية**. العربي للنشر والتوزيع، القاهرة.

2- البهي، محمد. (1964). **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي**. ط4، مكتبة وهبة، القاهرة.

3- الجندي، أنور. (1977). **المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الإسلامي**. ط2، دار الاعتصام، القاهرة، 1977.

4- حسن، محمد امين بني عامر. (2004). **المستشرقون والقرآن الكريم**. ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، الأردن.

5- حمدان، نذير. (1988). **مستشرقون؛ سياسيون، جامعيون، مجمعيون**. ط1، مكتبة الصديق، الطائف.

6- زقزوق، محمود حمدي. (1989). **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**. ط2، دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

7- زقزوق، محمود حمدي. (1984). **الإسلام والاستشراق**. ط1، دار التضامن للطباعة، القاهرة.

8- الزيادي، محمد فتح الله. (1998). **الاستشراق: أهدافه ووسائله**. ط1، دار قتيبة، دمشق.

9- الزيني، محمد عبد الرحيم. (2011). **الاستشراق اليهودي؛ رؤية موضوعية**. دار اليقين للنشر والتوزيع، المنصورة.

10- السباعي، مصطفى. (د.ت). **الاستشراق والمستشرقون، ما لهم وما عليهم**. دار الوراق للنشر والتوزيع، المكتب الإسلامي.

11- سعيد، إدوارد. (2006). **الاستشراق**. ترجمة: محمد عناني، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة.

12- سعيد، إدوارد. (2010). **الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء**. ترجمة: كمال أبو ديب، ط8، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت.

13- سمايلوفيتش، أحمد. (1998). **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر**. دار الفكر العربي، القاهرة.

14- الصغير، محمد حسن علي، (2012)، **المستشرقون والدراسات القرآنية**، دار المؤرخ العربي، بيروت.

15- عبد الرحمن، عائشة. (1975). **الإسرائيليات في الغزو الفكري**. معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة.

16- عبد الكريم، إبراهيم. (1993). **الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل**. ط1، دار الجيل للنشر، عمان.

17- عمايرة، إسماعيل أحمد. (1996). **بحوث في الاستشراق واللغة**. (المراحل الزمنية للغة العربية الفصحى، بقلم: المستشرق فولف ديتريش فيشر، ترجمة عن الألمانية). ط1، دار البشير، عمان، الأردن.

18- عمر، أحمد مختار. (1988). **البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر**. ط6، عالم الكتب، القاهرة.

19- فوك، يوهان. (2014). **العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب**. ترجمة عبد الحليم النجار، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

20- الكرملي، أنستاس ماري. (2020). **نشوء اللغة العربية ونموّها واكتهالها**. مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة.

21- لويس، برنارد. (1978). **الغرب والشرق الأوسط**. ترجمة: نبيل صبحي، كتاب المختار، القاهرة.

22- نامي، خليل يحيى. (1974). **دراسات في اللغة العربية**. دار المعارف بمصر، القاهرة.

23- نهر، هادي. البحوث اللغويّة والأدبيّة. (2009). **البحوث اللغويّة والأدبيّة**، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، عمان.

24- نولدكه، تيودور. (2000). **تاريخ القرآن**. ترجمة: جورج تامر، دار نشر جورج ألمز، نيويورك.

25- أبو هاشم، أميرة قاسم. (2016). **المستشرقون اليهود وموقفهم من التاريخ الإسلامي**. دار النهضة العربية، ط1، بيروت.

الدوريّات والأبحاث:

26- احمامو، عبد العالي. (ربيع 2018). **الاستشراق.. الأهداف والغايات**. دراسات استشراقية، عدد 14، السنة الخامسة.

27- أحمد، محمد خليفة حسن. (2021). **المجتمع اليهودي بين الاستشراق والاستغراب**. مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلد 39، عدد 2.

28- أحمد، محمد خليفة حسن. (2003). **المدرسة اليهودية في الاستشراق**. مجلة رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، مجلد 12، عدد 4،1، جامعة القاهرة، ص11-87.

29- أبو حمدية، زكريا أحمد. (1989). **دور اللغة العربية في تكامل الوطن العربي ووحدته. هل اللهجات عامل معاكس للتكامل والوحدة؟** مركز دراسات الوحدة العربية ومعهد الشؤون الدولية بإيطاليا، المجلد 2، ص811-854.

30- الأفيوني، أبو الحمد. (2000). **قضية الازدواجية في اللغة**. مجلة كلية الآداب بقنا، مجلد 9، عدد 10، ص13-26.

31- أمين، طاهر محمد. (2021). **الجهود الاستشراقية لآنا ماري شميل**. مجلة المعيار، مجلد 25، عدد 53، ص256-269.

32- بحري، نوارة. (ديسمبر 2017). **الكتابة اللسانية العربية الحديثة؛ إبراهيم أنيس أنموذجا**. حوليات جامعة قالمة للغات والآداب، العدد 21، ص217-233.

33- بخوش، عبد القادر. (2004). **الظاهرة الصهيونية في الدراسات الاستشراقية**. مجلة كلية العلوم الإسلامية، السنة الرابعة، العدد 8، ص 282-294.

34- بدر، أشرف. (ربيع 2019). **الأيديولوجيا الصهيونية والغرب؛ رحلة التوظيف من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا**. دراسات استشراقية، العدد 18، ص76-113.

35- بدر، حمدان. (1975). **المستشرقون ومعاهد الاستشراق في إسرائيل**. منظمة التحرير الفلسطينيّة: مركز الأبحاث، ص177-184.

36- البهنسي، أحمد صلاح أحمد. (2007). **الاستشراق الإسرائيلي- الإشكالية والسمات والأهداف**. مجلة الدراسات الشرقية، عدد38، ص457-479.

37- البهنسي، أحمد صلاح. (ربيع 2015). **"الجاحظ" في الكتابات الاستشراقية الإسرائيلية**. دراسات استشراقية، السنة الثانية، عدد 4.

38- البهنسي، أحمد. (ربيع 2018). **يهود الجزائر في الفكرين الاستشراقي والسياسي الإسرائيلي**. دراسات استشراقية، العدد 14، السنة الخامسة.

39- البهنسي، أحمد. (2019). **كتاب "مصادر يهودية في القرآن" للمستشرق شالوم زاوي**. مجلة القرآن والاستشراق المعاصر، عدد 3، سنة أولى، 2019، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت.

40- ابن بو زيد، لخضر. (ربيع 2015). **الدراسات الاستشراقية وخطرها على العقيدة والفكر الإسلامي**. دراسات استشراقية، السنة الخامسة، العدد 15.

41- بوكبل، أمينة. (فبراير 2015). **آليات تلقي للنص العربي القديم في ضوء الاستشراق الإسرائيلي المعاصر**. مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، سنة 2، عدد5، ص9-20.

42- حسن، محمد خليفة. **المدرسة اليهودية في الاستشراق**. رسالة المشرق، جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقية، مجلد 12، عدد1-4، 2003، ص11-87.

43- زماني، محمد حسن. (صيف 2014). **الاستشراق.. تاريخه ومراحله**. دراسات استشراقية، عدد 1، السنة الأولى.

44- زيدان، عباس سليم. (2013). **جذور الاستشراق اليهودي**. لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، عدد 11، سنة 5.

45- ابن عبد الله، حماد. (شتاء 2019). **موقف الحركة الاستشراقية من تاريخ النحو العربي ونقدها**. دراسات استشراقية، العدد 17، ص 181-202.

46- عبد العزيز، هشام فوزي. (1997). **مدرسة الدراسات الشرقية في الجامعة العبرية في القدس 1926-1948**. مجلة عالم الفكر، مجلد 26، عدد1، ص251-282.

47- عيساوي، محمد. (مارس 2017). **التأثيرات الاستشراقية في مسيرة اللغة العربية الفصحى- بين الإنصاف والإجحاف**. مجلة تاريخ العلوم، العدد7. ص300-317.

مواقع إلكترونية:

48- أحمدي، فاطمة جان. (2015). **الاستشراق اليهودي**. ترجمة: عماد الهلالي، مجلة نصوص معاصرة، العددان الثامن والتاسع والثلاثون، السنة العاشرة، مركز البحوث المعاصرة، بيروت، ص231-246. https://nosos.net

49- مركز تفسير للدراسات القرآنيّة. (٢٨ سبتمبر ٢٠١٩). حوار حول الاستشراق والاستشراق الإسرائيلي. إعداد: فريق موقع تفسير، ضيف الحوار: أحمد صلاح البهنسي. https://tafsir.net/interview/18/al-astshraq-